



1987-02-20 📅

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَآذَا أَنْزَلْ رَبُّكُمْ قَالُوا أُسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (24) لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ

أيها الإخوة المؤمنون، مع الدرس السادس من سورة النحل وصلنا في الدرس الماضي إلى قوله تعالى:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَآذَا أَنْزَلْ رَبُّكُمْ قَالُوا أُسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (24) لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلِيسَاءَ مَا يَزُرُونَ (25)﴾

[سورة النحل]

هذا هو وزن الكفار بالدين :

هؤلاء الكفار يظنون أن الدين خرافة، وأن الدين سلوك الأقدمين، وأنه تعبير عن ضعف الإنسان أمام قوى الطبيعة، وأنه طقوس لا معنى لها، وأنه غيبيات، وأنه حجر عثرة في سبيل تقدم الإنسان، والكفار هم الكفار، في كل زمان ومكان، لذلك قال الله -سبحانه وتعالى-: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَآذَا أَنْزَلْ رَبُّكُمْ قَالُوا أُسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ هؤلاء حينما كفروا، أي أعرضوا عن الله -سبحانه وتعالى-، هم بشر، زوّدهم الله بالشهوات من أجل أن يرقوا بها إلى رب السموات، فلما أعرضوا عن الله -سبحانه وتعالى- كانت شهواتهم محرراً لهم إلى طريق تحقيقها، ولما كانوا في عمى، وفي بُعد عن الله -سبحانه وتعالى- فلا بد وهم يحققون شهواتهم من أن يأخذوا ما ليس لهم، ومن أن يعتدوا على غيرهم، فذلك هؤلاء الذين: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَآذَا أَنْزَلْ رَبُّكُمْ قَالُوا أُسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾. هؤلاء: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ﴾.

الإثم وتحمل الوزر ملازمان للكفر :

فصار ارتكاب الإثم وتحمل الوزر شيئاً ملازماً للكفر.

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ (1) فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ أَلْبَتِيمَ (2)﴾

[سورة الماعون]

﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَعِيرٌ هُدًى مِنْ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (50) ﴾

[سورة القصص]

هناك تلازم عجيب بين الذي ينكر الدين كنظام إلهي أنزله الله -سبحانه وتعالى- ليسعد الناس جميعاً في الدنيا والآخرة، وبين من ينكر هذا النظام الإلهي وبين من يسيء إلى الناس، ولن تجد إنساناً واحداً أعرض عن الله -سبحانه وتعالى- وله عمل طيب، بل له عمل سيئ؛ يفرق بين الناس، يقيم العداوة فيما بينهم، يستعلي عليهم، يأخذ ما ليس له، يعتدي على أموالهم، يعتدي على أعراضهم، هذه صفات الكافر؛ بل إنها من لوازم الكفر.

تقسيمات البشر لا أساس لها من الصحة :

هذا الكلام كلام الله -سبحانه وتعالى-، أينما ذهبت، حيثما حللت، أينما اتجهت، الناس رجالان؛ يرّى تقي كريم على الله، وفاجر شقي هين على الله، كل تقسيمات البشر تقسيمات ما أنزل الله بها من سلطان، أبناء الريف، وأبناء المدينة، تقسيم باطل، أي مخلوق تعرّف إلى الله -سبحانه وتعالى- تشرف قلبه بهذه المعرفة، الأغنياء والفقراء، تقسيم باطل، الأقرىء والضعفاء، تقسيم باطل، العرق الأري والعرق السامي، تقسيم باطل، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

((لَيْبَتُهُنَّ أَقْوَامٌ يَفْتَخِرُونَ بِآبَائِهِمُ الَّذِينَ مَاتُوا، إِنَّمَا هُمْ فَحْمٌ جَهَنَّمَ، أَوْ لَيْكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْجَعَلِ الَّذِي يُدْهَدُهُ الْخِرَاءُ بِأَنْفِهِ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ غَيْبَةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَفَخَّرَ هَا بِالْأَبَاءِ، إِنَّمَا هُوَ مَوْمٌ مِنْ تَقِيٍّ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ، النَّاسُ كُلُّهُمْ بَنُو آدَمَ، وَآدَمُ خُلِقَ مِنْ تُرَابٍ.))

[رواه الترمذي]

((أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُمُ لِلنَّاسِ،))

[رواه الطبراني]

((أَنَا جَدُّ كُلِّ تَقِيٍّ وَلَوْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا))

((سَلْمَانَ مَنَالَ الْبَيْتِ))

[رواه الطبراني في المعجم الكبير عن عمر بن عوف المزني]

﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (1) ﴾

[سورة المد]

من قرئش! هذا كله يؤكد قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (13) ﴾

[سورة الحجرات]

((يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَفَضْلٍ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا لِأَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالشَّقْوَى .))

[رواه أحمد في مسنده]

هذا هو الإسلام، الناس سواسية كأسنان المشط أحد أصحاب رسول الله في ساعة غضب توجه إلى سيدنا بلال، فغلبته نفسه فقال له يابن السوداء فمزال النبي صلى الله عليه وسلم معرضاً عنه قائلاً له: إنك امرؤ فيك جاهلية.

((فَعَنَ الْمُعْرُورُ بْنُ سُوَيْدٍ قَالَ: لَقِيتُ أَبَا ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ، وَعَلَيْهِ جِلَّةٌ، وَعَلَى غَلَامِهِ جِلَّةٌ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنِّي سَابَيْتُ رَجُلًا، فَعَيَّرْتُهُ بِأَمْرِهِ، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأَمْرِهِ؟ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ))

[متفق عليه]

((لَيْسَ مَنْأً مِنْ دَعَا إِلَى عَصِيْبِيَّةٍ وَلَيْسَ مَنْأً مِنْ قَاتَلَ عَلَى عَصِيْبِيَّةٍ وَلَيْسَ مَنْأً مِنْ مَاتَ عَلَى عَصِيْبِيَّةٍ.))

[ضعيفاً بن داود]

هذا هو سر الإسلام، هذا هو من عظمة الإسلام.

سيدنا أبو بكر رضي الله عنه ذهب ليشترى بلالاً، وينفذه من تعذيب سيده أمية بن خلف، قال سيده لأبي بكر -رضي الله عنه-: والله لو دفعت فيه درهماً واحداً لبعثته! لهوانه على سيده، فما كان من أبي بكر رضي الله عنه إلا أن قال لأمية بن خلف: والله لو طلبت به مئة ألف درهم لأعطيتهما، فلما أخذه وضع يده في يد تحت إبطه تأكيداً للإخوة في الإسلام، لذلك كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إذا ذكروا أبو بكر رضي الله عنه قالوا:

((أَبُو يُكْرِي سَيِّدَنَا، وَأَعْتَقَ سَيِّدَنَا، يَغْنِي بِلَالًا))

[رواه البخاري]

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يخرج إلى ظاهر المدينة لاستقبال بلال، خليفة المسلمين يخرج إلى ظاهر المدينة ليكون في استقبال سيدنا بلال! بلال وصهيب يدخلان ويخرجان بلا استئذان على سيدنا عمر؛ جاء أبو سفيان فوقف على بابه ساعات طويلة فلم يُؤذَن له، فلما دخل عليه عاتبه فقال: أبو سفيان سيد قریش يقف ببابك ساعات طويلة؟! وصهيب وبلال يدخلان ويخرجان بلا استئذان؟! قال: يا أبا سفيان أنت مثلهما؟! أين الثرى من الثريا؟! أين أنت، وأين هم؟! هذا هو الإسلام. إذا شعرت أنك فوق الناس فليست مسلماً! إذا شعرت أنك خير من فلان أو إعلان فليست مسلماً! قال لي أحدهم، وأعجبني قوله: حج البيت الحرام فاشعر بسعادة ما بعدها سعادة، قال لي: ليس في الأرض من هو أسعد مني إلا أن يكون أتقى مني، هذا هو الدين. فهؤلاء الكفار هم الكفار، في كل زمان وفي كل مكان، حينما كفروا وانقطعوا، وحينما انقطعوا حرّكتهم شهواتهم، وحينما حرّكتهم شهواتهم أخذوا ما ليس لهم، طغوا، وبغوا، واعتدوا على الأموال والأعراض؛ فلذلك ربنا - سبحانه وتعالى - يقول: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ: أَيُّ الْكُفَّارِ: (مَادَا أَنْزَلْنَا رَبُّكُمْ قَالُوا أُسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ * لِيُحْمَلُوا أَوْزَارَهُمْ)﴾ الكافر كيفما تحرك يتركب الإثم، إذا تكلم استعلى، وإذا نقل الخبر أفسد العلاقة بين الاثنين، وإذا تحدث عن نفسه حقر الآخرين، هذه كلها أوزار.

هناك كتاب لكل إنسان لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها:

﴿لِيُحْمَلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً﴾ أما كلمة ﴿كاملة﴾ فتعني الشيء الكثير.

﴿فَوَرَبُّكَ لَنَسْأَلُهُمْ أَعْمِرِينَ (92) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (93)﴾

[سورة الحجر]

﴿وَوَضِعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا﴾

[سورة الكيف]

كل أعمالك، كل حرّكاتك، كل سكناتك، كل تصرفاتك، كل موافقك، كل طموحاتك، هذا كله مُسجَل في كتاب ﴿يَا وَيْلَتَنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا﴾. ﴿لِيُحْمَلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً﴾ الحساب هو الحساب، لو أن لك حساباً عند بائع يسجّل كل شيء، حتى ثمن الشمعة، يقول لك: الشمعة بتلاثين قرشاً، وقد أخذ منك مئة ألف! هكذا الحساب، الحساب فيه تسجيل لكل شيء، ﴿لِيُحْمَلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾.

ما هو الوزر عموماً؟

﴿لِيُحْمَلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ إذا جمعت بين اثنين على معصية هذا وزر، إذا اغتبت فالغيبية وزر.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْنَاهُ وَإِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ (12)﴾

[سورة الحجرات]

الغيبية وزر، النميمة وزر، الكذب وزر، التنازع بالألقاب وزر ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ تقصّي الأخبار السيئة وزر، أوزار اللسان لا تعد ولا تحصى. عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((لَا يَسْتَقِيمُ إِيْمَانُ عِبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ، وَلَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ، وَلَا يَدْخُلُ رَجُلٌ الْجَنَّةَ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ))

[أخرجه أحمد]

عن معاذ بن النّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:

((... تَكَلُّتُكَ أُمَّكَ، وَهَلْ يَكُفُّ النَّاسَ عَلَى مَنَاجِرِهِمْ فِي جَهَنَّمَ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ))

[أخرجه أحمد]

ما تقول؟ بقي أمر العين.

عن ابن عباس قال: ما رأيت شيئاً أشبه باللمم مما قال أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم:

((إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزَّنَا، أَدْرَكَ ذَلِكَ لِمَحَالَةٍ، فَرَنَا الْعَيْنُ النَّظْرُ، وَرَنَا الْإِسَانُ الْمَنْطِقُ، وَالنَّفْسُ تَمَنَّى، وَتَشْتَهِي، وَالْفَرْحُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ كُلَّهُ، وَيُكَدِّبُهُ))

[أخرجه البخاري]

﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً﴾ تدخل على دكانه امرأة، فيتأمل محاسنها، ويصافحها، يدير معها حديثاً لطيفاً، هذا كله آثام **﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾** يبيع ويشتري، يخفي العيب **﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾** يبيع البضاعة نسيئةً، فيزيد في الثمن **﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾** يقيم وليمة فيهارجال ونساء **﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾** يذهب إلى بلد أجنبي، فيرخي الحبل ويعطي لنفسه العنان **﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾** يملأ عينيه من الحرام، فيملوهما الله من جمر جهنم **﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾** يرسل ابنه إلى بلد أجنبي ليتعلم اللغة الأجنبية، فيعود ابنه زانياً **﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾** يقول هذا الابن: يارب، لا أدخل النار حتى تدخل أبي قبلي **﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾** يزوج ابنته من رجل غني طمعاً بماله ومركبته وجاهه، فيطلق هذا الزوج للزوجة العنان فتفعل ما تشاء؛ تختلط مع الرجال، تترك الصلاة، وهو يظن أنه بهذا الزوج قد حصل عزاً ومالاً وفيراً **﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾** ما أكثر المعاصي، في البيع والشراء آلاف المعاصي، في سيرك في الطريق المئات، إذا دخلت البيت، وأدرت جهاز اللهو على شيء يغضب الله ورسوله وقعت في المعاصي.

هل تعلم أنك تأخذ وزر غيرك؟

لكن الآية فيها ما يقسم الظهر: **﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضَلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾** إذا استمتعت أنت ببرنامج يغضب الله ورسوله، وشاهد هذا البرنامج ابنك وابتنتك الشبايان، وانحرفا انحرفاً لم تعلم به **﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضَلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾** لكن كلمة: **﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾**.

قاصمة الظهر: بِغَيْرِ عِلْمٍ:

تأخذ بالآليات، هذا الذي يضل بغير علم، يظن أن هذا حضارة، هذا شيء عصري، لا ينبغي أن نُحرم منه، يُضل الناس، وهو يحسب أنه ينفعهم، يؤذيهم في أخلاقهم، وهو يظن أنه ينفعهم، يحبب إليهم الدنيا، وهو يظن أنه يخدمهم بغير علم، هذا الذي! يُضل بغير علم، وهذا الذي يُضل بغير علم، ولا جهل في القانون، مبدأ عام في القضاء، "لا جهل بالقانون"، كذلك لا جهل عند الله، فالإنسان إذا جهل يُحاسب على جهله، لم يتم تقصُّ الحقائق؟ لم يتم تتبع سبيل من أتاب الي؟ لم أتبع سبيل أهل الدنيا؟ لم صدقتهم؟ لم عطلت فكرك؟ لم تقرأ القرآن؟ لم تحضر مجالس العلم؟ لماذا بقيت جاهلاً؟ لماذا اتبعت هو اك؟ لماذا استمتعت إلى وسواس الشيطان؟ **﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضَلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾** عن جرير قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((مَنْ سَنَّ سَنَةً حَسَنَةً فَعَمِلَ بِهَا كَانَ لَهُ أَجْرُهَا، وَمِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ هِمَّ شَيْئاً، وَمَنْ سَنَّ سَنَةً سَيِّئَةً، فَعَمِلَ بِهَا كَانَ عَلَيْهِ وَزْرٌ وَوَزْرٌ مِنْ عَمَلِهَا مِنْ عَمَلِهَا مِنْ بَعْدِهِ لَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئاً))

[أخرجه ابن ماجه]

مبدأ المسؤولية:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ (12) ﴾

[سور قيس]

آثارهم؛ هذا الذي فعلت، سننت في أسر تك، وأنت عميد هذه الأسرة لقاء أسبوعياً مختلطاً، شيء جميل! سننت هذا اللقاء، واستمر هذا اللقاء بعد وفاتك، وتابعه أهل الأهل، كان جئنا يفعل هذا، هذا الاختلاط إلى يوم القيامة، ما الذي نتج منه من اشتهاه، من زنى النظر، من طلاق زوجة، هذا الاختلاط الذي سننته في أسر تك سوف تتحمل تبعاته إلى يوم القيامة: **﴿وَمَنْ سَنَّ سَنَةً سَيِّئَةً فَعَمِلَ بِهَا كَانَ عَلَيْهِ وَزْرٌ وَوَزْرٌ مِنْ عَمَلِهَا مِنْ بَعْدِهِ لَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئاً﴾**.

﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضَلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ هنا السؤال: لم يقل الله - سبحانه وتعالى -: ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة وأوزارهم؟ قال: ومن أوزار، هذا الإنسان الآخر له معاصي هو وحده مسؤول عنها، وله معاصي كانت بسببك، فهذا الذي كنت أنت سبباً في حصوله تحاسب عليه، يُضَم إلى أوزارك، فكل وزر يقع فيه إنسان آخر فعله بسببك، بتشجيعك، بدلائك، بتوجيهك، برضائك، بسكو تك، فهو يُكتب على فاعل الوزر، ويُكتب ثانياً في صحيفتك.

﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضَلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ قد يكون الإنسان ضالاً، وهو لا يعلم، وقد يقع عليه الضلال وهو لا يعلم.

من الناس من يدرى ويدير أنه يدرى فهذا عالم فاتبعوه، ومنهم من لا يدرى ويدير أنه لا يدرى، فهذا جاهل فعلموه، ومنهم من لا يدرى ولا يدير أنه لا يدرى، فهذا شيطان فاحذروه، هذا الذي يُضل بغير علم، ويُضل بغير علم يظن هذا حضارة، يظن هذا رقياً، يظن هذا رقة، يظن هذا ذكاء، يظن هذا عقلاً متفتحاً، نفساً مرنة، هذا كله ضلال في ضلال.

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا (36) ﴾

[سورة الأحزاب]

لا خيار لك، أنت عبد، العبد عبد، والرب رب، هذا هو الشرع، هذا هو القرآن، هذا هو الدستور، هذا هو الكتاب، فالذي حرمه حرام إلى يوم القيامة، والذي أحله حلال إلى يوم القيامة، الحرام ما حرمت، والحلال ما أحلت، والدين دينك، والشرع شرعك يارب.

أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ

﴿وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضَلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ هذا الذي يحملونه سوف يسوءهم، لو أعطاك إنسان ظرفاً صغيراً سمياً قال لك: خذه، ضعه في جيبك، هو هدية مني لك، أنت حملته ورفرت به، وقفت في مكان ما وفتشوك، فإذا في هذا الظرف حشيش، وساقوا من حمله إلى السجن، وحكموا عليه بثلاثين سنة مع الأشغال الشاقة، ألم يسوءه هذا الذي حمله؟ هذا الذي حمله في جيبه ألم يكن سبباً في دماره؟ هذا مثل، وفي بعض البلاد، إذا ضُبط الإنسان يحمل مادة مخدرة يُعَدَّم فوراً.

﴿أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ إذا كان هذا عند البشر فكيف عند خالق البشر؟! هناك أعمال لو اقترفتها، وحُملت في صحيفتك سوف تسوءك، سوف يسوء الإنسان ما يحمل.

﴿أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ هذا مثل بسيط، لو حملت شيئاً ممنوعاً، وضُبطت بانك تحمله، وعليه وزرٌ ثقيل، ألا تلعن الساعة التي التقيت بها بهذا الإنسان؟ ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضَلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾.

قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَحَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِ

﴿ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَحَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (26)

[سورة النحل]

مكر الماكرين مكشوف :

أي مكر عند الله مكشوف، هذا الذي يمكر، ويمكر، ويظن بأنه بهذا المكر يفلح، ويفوق، ويتفوق؛ هذا الذي يمكر الله - سبحانه وتعالى - أرخى له الحبل، فإذا جاء أجله: ﴿فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَحَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾

إذا اهتز الأساس تداعى البناء :

فإذا اهتز الأساس تداعى البناء؛ هذا مكر الكفار، ولو أن إنساناً بنى بناءً شامخاً بلا أساس، واعتنى بجدرانه، واعتنى بغرفه، واعتنى بطوابقه، ثم زينه، وبالغ في تزيينه، وأنفق عليه ما لا يحصى، ثم انهار الأساس، فتداعى البناء، كم هي الصورة مؤسفة، وكم هي مضحكة، وكم يعد هذا الإنسان غيبياً، وساذجاً!! هكذا الكافر: ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَحَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

يؤتى الحذر من أمثله :

ولحكمة بالغة لا يُؤتى الكافر إلا من جهة أمته، مطمئن إلى صحته، يعنى بها أشد العناية؛ فلا يأتيه الألم إلا من جهة صحته، مطمئن من جهة ماله، فلا يأتيه العذاب إلا من جهة ماله، مطمئن لمكانته، إذا هي تُزلزل من تحت قدميه، يؤتى الحذر من أمثله.

عَنْ مُعَاذٍ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((لَنْ يَنْفَعَ حَذْرٌ مِنْ قَدْرِ، وَلَكِنَّ الدُّعَاءَ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ وَمِمَّا لَمْ يَنْزَلْ، فَعَلَيْكُمْ بِالذُّعَاءِ عِبَادَ اللَّهِ))

[الخرجه احمد وروضعيف]

يؤتى الحذر من أمثله، قد يختص الطبيب باختصاص دقيق، ويذهب إلى بلاد الغرب لياخذ أعلى الشهادات في هذا الاختصاص، ويعود، ويعتني بصحته إلى أقصى الحدود، فإذا كان غافلاً عن الله - سبحانه وتعالى - لا يُصاب إلا بمرض من اختصاصه، عندئذ تنهار قواه! يؤتى الحذر من أمثله، وأي جهة أنت مطمئن لها، مستغني بها عن الله - سبحانه وتعالى -، تتكل عليها، تراها قوة لك، لا يأتيك الدمار إلا من هذه الجهة ﴿فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ﴾ معنى: ﴿فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ﴾ أي أهلكهم.

فَحَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ

﴿فَحَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ لو ذهبت لتكسر سقف البناء لطلال بك الوقت، لكنهم إذا أرادوا هدم بناء زعزعا دعائمه، فيخر السقف من فوق، هذه أسهل طريقة، كل هذا البناء الشامخ إذا زلزلت دعائمه خر السقف من فوق، صورة رائعة.

﴿فَحَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ الكافر قد يجعل تدبيره في تدبيره؛ ينقلب تدبيره إلى وسيلة لتدبيره، يُمَكِّدُ بتدبيره، لذلك المؤمن تدبر ألا تدبر، يقول: اللهم أغنا باختيارك عن اختيارنا، وتدبيرك عن تدبيرنا.

﴿ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَحَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (26) ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْرِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ

شَرَكَائِي الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشْفِقُونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ (27) ﴿

[سورة النحل]

ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِبُهُمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَشَاقُقُونَ فِيهِمْ

عذاب الخزي شيء لا يحتمل :

عذاب الخزي شيء لا يحتمل، هناك عذاب عظيم، وهناك عذاب أليم، وهناك عذاب مهين، قد يُخْزَى الإنسان، قد يقف في موقف يتمنى أن تُشق الأرض وتبتلعها، قد يقف في موقف يتمنى لو كان هباء منثوراً، قد يقف في موقف يتمنى أن لم تلده أمه قط، هو العذاب المهين عذاب الخزي. ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِبُهُمْ﴾ لذلك ..

﴿ كُلُّ نَفْسٍ دَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ رُحِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (185) ﴾

[سورة آل عمران]

﴿ قَدْ زُهِمَ لَهُمْ يُخْرُضُوا وَيُلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (83) ﴾

[سورة الزخرف]

﴿ قَدْ زُهِمَ لَهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ (45) ﴾

[سورة الطور]

إذا توقفت المركبة العامة فجأة، وصعد المفتش، وطالب الركاب ببطاقاتهم، وأحد الركاب لم يقطع بطاقة، انظر إلى وجهه، انظر إلى لون وجهه، انظر إلى ارتباكته، انظر إلى خجله، انظر إلى موقفه إن كان أنيقاً، إن كان ذا مكانة، ماذا يفعل؟ هذا من أجل مخالفة لا تزيد عن عشر ليرات سورية، فكيف لو وقف الإنسان أمام الخلائق كلها يوم القيامة، وعرضت عليه أعماله مصورة، ورأى فضل الله - سبحانه وتعالى - عليه، وكيف واجه هذا الفضل بالجوهر والنكران، وقد أكل مال هذا، وشتم هذا، وأذى هذا، وخوّف هذا؛ يحاسبه الله - سبحانه وتعالى -، أهكذا فعلت بعبادي؟ أهذا جزاء الإحسان؟ أهذا خلقتك؟ أهذا بعثت بك إلى الدنيا؟

وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَشَاقُقُونَ فِيهِمْ

إياكم والشريك فإنه سيعاديكم يوم القيامة :

﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِبُهُمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَشَاقُقُونَ فِيهِمْ﴾ هذه الآية دقيقة جداً، تعني اتخاذهم الشريك لله - عز وجل -، فلان يتخذ فلاناً من دون الله شريكاً، فإذا قال له أخوه: أنت مخطئ يا أخي، صبب عليه جام غضبه؛ تشاقق من أجل من؟ من أجل شريك ما أنزل الله به من سلطان؟! كل إنسان يدافع عن باطله، ويؤذي من حوله من أجل هذا الباطل، يؤذي من حوله، يعاديهم، يرتكب الأثام من أجل الدفاع عن الذي أشركه مع الله - سبحانه وتعالى -، أمثل هذا يفعله إنسان؟! ﴿وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَشَاقُقُونَ فِيهِمْ﴾ توضيحاً لهذه الآية؛ يعني كفار قريش، لأن النبي - عليه الصلاة والسلام - ولأن أصحابه الكرام سبوا هذه الأصنام، هذه الأحجار الجامدة الميتة، لأنهم فعلوا كل هذا؛ أقام الكفار عليهم الدنيا ولم يقعدوها، حاربوهم في بدر، وحاربوهم في أحد، وحاربوهم في الخندق، وقاتلوهم، وأخرجوهم، وهم أقرباؤهم، وأبناء جلدتهم، ومن أرحامهم، شاققوا الناس من أجل الشركاء، أيعقل هذا؟! كفار مكة لماذا عادوا النبي - عليه الصلاة والسلام -؟ لماذا أخرجوا أصحابه؟ لماذا قاطعوهم؟ لماذا مكروا لهم؟ لماذا أخرجوهم؟ لأنهم سبوا آلهتهم، وعبادوا دينهم، أتمتلى غيظاً من أجل شريك ما أنزل الله به من سلطان، أهكذا يكون؟ ﴿وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَشَاقُقُونَ فِيهِمْ﴾ أين هبل؟ أين اللات؟ أين الغزى؟ أين يعوق؟ أين نسر؟ يا كفار مكة، شاققتهم من أجل هؤلاء الأصنام؟! من أجل هذه الأحجار؟! من أجل هذه التي ما أنزل الله بها من سلطان؟! قطعتم أرحامكم؟ أخرجتم نبيكم؟ أنيتم أصحابه؟ أهكذا يكون؟ وعلى هذا فقيس.

قَالَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ

﴿قَالَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ العذابان معاً، عذاب الحريق، وعذاب الخزي، إذا سبق المجرم ليعتد، أو ليعذب، ماذا ينوق؟ إذا صوره المصورون ترى وجهه تطلوه الغيرة، ترهقه ذلّة، وفوق الذلّة عذاب أليم، كذلك الإنسان يوم القيامة، يتحمل العذاب، ومع العذاب عذاب الخزي الأليم:

﴿ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ (27) الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَالِمِي أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (28) ﴾

[سورة النحل]

﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّٰ وَالسَّلْوٰى كَلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (57) ﴾

[سورة البقرة]

لأنهم ظلموا أنفسهم :

هؤلاء الذين: **(الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُم الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ)** ما عرفوا الله - سبحانه وتعالى -، ظلم نفسه فجعلها جاهلة، ظلم نفسه فلم يزرعها، لم يُعزَّزْها بمهمتها، لم يُعزَّزْها بخالقها، لم يُعزَّزْها بطريقها إلى الجنة، لم يحضر مجالس العلم، ما قرأ القرآن، ما سأل أين كان؟ ولا أين سيكون؟ ما التفت إلى خالق الأكوان، شغل بالدرهم والدينار، انغمس في الشهوات، قاتل هذا، وسب هذا، وأكل مال هذا، حتى جاء الموت: **(الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُم الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ)** النبي - عليه الصلاة والسلام - سمع أحد أصحابه وقد بلغه نبأ وفاة أحد الأشخاص، سمع أحد أصحابه يقول: لقد استراح فلان، فغضب النبي صلى الله عليه وسلم وقال: وما أدراك أنه استراح؟! من أدرك؟! إنما يستريح من غفر له.

الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر :

هذا العالم الجليل الذي كان يركب فرساً في العهود الغابرة، وعليه ثياب جميلة جداً، وحوله بعض تلامذته يحفون به، ويكرمون، نظر إليه يهودي فقير، في حالة قميئة بانسة، وكان قد سمع هذا اليهودي بحديث أبي هريرة قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ، وَجَنَّةُ الْكَافِرِ))

[أخرجه مسلم]

فحار في هذا الحديث، فلما لقي هذا العالم في موكب في الطريق قال: يا سيدي: يقول نبيكم: **(الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ، وَجَنَّةُ الْكَافِرِ)** فأني سجن أنت فيه؟ أي سجن هذا؟ وأي جنة أنا فيها؟! هو مسحوق، أنت في سجن، وأنا في جنة؟! فقال هذا العالم الجليل: يا هذا إن حالتك البانسة، التعيسة، إذا قيست بما ينتظر الكافر من عذاب اليم يوم القيامة فأنت في جنة، وإن حالتني التي ترضيك، إذا قيست بما وعد الله المؤمنين يوم القيامة فأنا في سجن، ما أخذت الدنيا من الآخرة إلا كما يأخذ المخيط إذا غمس في مياه البحر، عن سهل بن سعد قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((لَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا تَعْدِيلٌ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحٌ بَعُوضَةٌ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ))

[الترمذي]

يا بني، ما خيّر بعده النار بخير، وما شتر بعده الجنة بشر، وكل نعيم دون الجنة محقور، وكل بلاء دون النار عافية، يا بني العلم خير من المال، لأن العلم يحرسك، وأنت تحرس المال، والمال تنقصه النفقة، والعلم يزكو على الإنفاق، ألا يارب نفس طاعة ناعمة في الدنيا، جانعة عارية يوم القيامة، ألا يارب نفس جانعة عارية في الدنيا، طاعة ناعمة يوم القيامة، ألا يارب مكرم لنفسه وهو لها مهين، ألا يارب مهين لنفسه وهو لها مكرم، ألا يارب متخوض ومُتَعَمِّم في الدنيا ما له عند الله من خلاق، ألا يارب شهوة ساعة أورتت حزناً طويلاً:

((أَلَا إِنَّ عَمَلَ الْجَنَّةِ حَزْنٌ بَرِيءٌ، ثَلَاثًا، أَلَا إِنَّ عَمَلَ النَّارِ سَهْلٌ يَسْتَهْوَى، وَالسَّعِيدُ مَنْ قَبِيَ الْفِتْنَ))

[أحمد عن ابن عباس وهو ضعيف]

(الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُم الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ) الغنى والفقر بعد العرض على الله.

فَأَلْفَوْا السَّلْمَ

عند الهزيمة النكراء تُرْفَعُ الراية البيضاء :

(فَأَلْفَوْا السَّلْمَ) كيف أن المجرم حينما يُؤخذ سلاحه منه، ويلقى القبض عليه بأيدي شديدة متينة، كيف أنه يستسلم؟ تنهار قواه، تخور عزيمته، يصفو وجهه، يكاد يقع على الأرض.

هؤلاء الكفار ظالمي أنفسهم، حينما تأخذهم الملائكة عند الموت ألقوا السلم، ألقوا سلاحهم، ورفعوا أيديهم، هم ينتظرون عقابهم الأليم، هم ينتظرون ما يفعل بهم، النبي عليه الصلاة والسلام بعد أن انتهت موقعة بدر بالفوز والنصر توجه إلى قتلى المشركين، خاطبهم بأسمائهم واحداً واحداً، فعن أنس بن مالك:

((أَنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَرَكَ قَتْلِي بَدْرَ ثَلَاثًا، ثُمَّ أَتَاهُمْ، فَقَامَ عَلَيْهِمْ، فَقَادَاهُمْ، فَقَالَ: يَا أَبَا جَهْلَ بْنَ هِشَامٍ، يَا أُمِّيَّةَ بْنَ خَلْفٍ، يَا عُثَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، يَا شَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، أَلَيْسَ قَدْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟ فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا، فَسَمِعَ عُمَرُ قَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ يَسْمَعُونَ؟ وَأَلَيْ يُجِيبُونَ؟ وَفَدَّ جِيفُوا؟ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعُ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يُجِيبُوا، ثُمَّ أَمَرَ بِهِمْ فَسَجَدُوا، فَأَلْفَوْا فِي قَلْبِ بَدْرٍ))

[مسلم]

هذه ساعة عصبية، ساعة لو نسمع صباح من جاءته لصعقتنا جميعاً، يصبح الكافر يوم تأتيه الملائكة لتقبض روحه يصبح صيحة لو سمعها أهل الأرض لصعقوا جميعاً.

انظروا إلى الكلام الفارغ :

﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ فَأَلْفَوْا السَّلْمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ﴾ كلام فارغ، والله أنا بريء، هذه كلمة كلِّ المجرمين، حينما يُلقى القبض عليه، ما فعلت هذا، أنا بريء! أنا مظلوم! ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى﴾.

لا يُظلم عند الله أحد :

ربنا -سبحانه وتعالى- يكذبهم: ﴿بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أعمالكم كلها مُسجَّلة عليكم، صغيرها وكبيرها، جليلها وحقيرها ﴿بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبئسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ (29)﴾

[سورة النحل]

المصير المحتم للكفار : جهنم :

هؤلاء الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق، خلق الإنسان ضعيفاً، يتكبرون فيها بغير الحق، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ، قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُجِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطْرُ الْحَقِّ، وَغَمَطُ النَّاسِ))

[مسلم]

﴿فَبئسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ هذا هو المَثْوَى الأخير، لذلك:

ليس من يقطع طرقاتاً بطلاً إنما من يتق الله البطل

[لامية ابن الوردة]

إذا كنت بطلاً حقاً تأتي يوم القيامة ناصع الجبين، أبيض الوجه، صادق القول، طيب القلب، سليم القلب، هذه هي البطولة، أما حصلت المال الفلاني، عمرت هذا البيت، أنشأت هذا المعمل، أمتت هذه المزرعة، أملك كذا وكذا، عندي من المال ما لا تأكله النيران، فعلت كذا وكذا، سافرت إلى كذا وكذا، أكلت كذا وكذا، هذا لا ينفكك عند الموت، إلا من أتى الله بقلب سليم.

بنس مَثْوَى الكافرين جهنم :

﴿فَبئسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾

﴿تِلْكَ الدَّارُ الْأَخْرَى نَجَعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (83)﴾

[سورة القصص]

﴿لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ولو لم يكن في كتاب الله إلا هذه الآية لكتبت: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ العاقبة للمتقي، للمستقيم، للمؤمن، والذي يخاف الله -سبحانه وتعالى-، والذي يرجو الله واليوم الآخر، العاقبة له، الفوز له، النجاح له، الفلاح له، الجنة له ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ فَأَلْفَوْا السَّلْمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سُبْعًا، هَلْ تَنْتَظِرُونَ إِلَّا فُقْرًا مُنْسِيًّا، أَوْ غِنًى مُطْعِيًّا، أَوْ مَرَضًا مُفْسِدًا أَوْ هَرَمًا مُفْقِدًا، أَوْ مَوْتًا مُجْهِزًا، أَوْ الدَّجَالَ، فَشَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ، أَوْ السَّاعَةَ فَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمْرٌ.))

[أخرجه الترمذي وهو ضعيف]

لو أن الإنسان سها ولها عن الله -سبحانه وتعالى-، غفل عنه، وانكب على الدنيا، فلا بد من يوم يستيقظ فيه على خير مؤلم، إن في صحته، أو في ماله، أو في أولاده، أو في زوجته، أو في حريته، لا بد من خير مؤلم، أما إذا عرفت الله -سبحانه وتعالى-:

﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (51)﴾

[سورة التوبة]

من خير إلى آخر، ومن رقي إلى رقي، ومن سعادة إلى أعلى، ومن عقل إلى أوسع، لا بد من التطور نحو الأعلى، في عقلك ومعرفتك، وحالك النفسي، ومكانتك، وحبك، وإقبالك، وصلاتك، وعبادتك، كلما زدت في العمر يوماً زدت قرباً، وزدت مكانة، وزدت حصافة، وزدت عقلاً، يقابل هذا أن أهل الدنيا لا بد من أن تأتيهم الأخبار المفجعة، لا بد من أن يُصعقوا قبل أن يموتوا، لا بد من أن يقصمهم الله -سبحانه وتعالى-، لا بد من أن يُجْعهم، هؤلاء: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ﴾ وفي الحديث:

(بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سُبْعًا، هَلْ تَنْتَظِرُونَ إِلَّا فُقْرًا مُنْسِيًا - فُقْرًا مَفَاجِنًا - أَوْ غِنًى مُطْعِيًا - يَخْرُجُ صَاحِبِهِ مِنَ الْإِسْتِقَامَةِ - أَوْ مَرَضًا مُفْسِدًا - يَفْسِدُ عَلَى الْإِنْسَانِ حَيَاتَهُ - أَوْ هَرَمًا مُفْتِنًا - يَصْبِحُ أَضْحُوكَةً بَيْنَ أَقْرَبَانِهِ، يَخْرَفُ - أَوْ مَوْتًا مُجْهِزًا، أَوْ الدَّجَالَ، فَشَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ، أَوْ السَّاعَةَ فَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمْرٌ).
إذا كنت تحب نفسك، إذا كنت مفرطاً في حب نفسك، فانتبه لهذه الحقائق، القرآن يحذرك مما سيكون. أما القسم الآخر من الآيات :

﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ قَالَوا خَيْرٌ مِنَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ (30) جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ (31) الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (32) هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (33) ﴾

[سورة النحل]

سنشرح هذه الآيات في الدرس القادم إن شاء الله.

والحمد لله رب العالمين.

دعاء:

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وأفضل التسليم على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم اجعل جمعنا هذا جمعاً مباركاً مرحوماً، واجعل تفرقنا من بعده تفرقاً معصوماً، ولا تجعل فينا ولا منا ولا معنا شقياً ولا محروماً، اللهم كما هديتنا للإسلام فثبتنا عليه، اللهم ألهمنا سبيل الاستقامة لا نحيد عنها أبداً، واهدنا لصالح الأعمال لا يهدي لصالحها إلا أنت، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.